دهاء سيدة

للقصصي الايطالي (موفاني بوكاشيو)

بقلم الأستاذ محمد عبد اللطيف حسن

كان يقطن في بلدة أرامينو بإيطاليا تاجر غني متزوج من سيدة جميلة صغيرة السن . وكان هذا الزوج شديد الغيرة والقسوة على زوجته ، لا لشيء إلا لأنه كان يحبها غاية الحب ، ويهواها من كل قلبه هوى عنيفاً مبرحا . فكان يظن لهذا السبب أن الناس جميعاً يحبونها كما يحبها ، ويهوونها كما يهواها ، وأنها تبادلهم إعجابا بإعجاب ، وافتتاناً بافتتان ! ومن هنا نشأت غيرته العمياء عليها ، وتولد في قلبه الخوف والقلق من حسنها الذي كان يخلب الألباب ويستهوي الأفئدة . فكان يراقبها مراقبة شديدة ويمنعها من الذهاب إلى الكنائس والولائم والحفلات العامة ، بل لقد بلغت به الغيرة إلى حد أنه كان يمنعها من الخروج في المواسم والأعياد التي كان يحتفل بها عامة الشعب ، فكان ذلك سبباً في تنغيص حياتها وتكدير صفوها .

وهداها التفكير أخيراً إلى أن تقابل هذا العدوان وتلك القسوة بمثلهما . ففي أحد الأيام وقعت عيناها على شاب جميل وسيم الطلعة يقطن في المنزل اللاصق لمنزلها . وقد استرعى هذا الشاب انتباهها قبل ذلك عدة مرات ، ولكنها لم تكن تعيره أدنى التفات ، ولم يخطر ببالها أن تهتم بغير زوجها في يوم من الأيام ، حتى إذا ماطفح الكيل ، وبلغت غيرته وقسوته أقصى حدودهما ، لم تستطع السيدة صبراً أكثر من ذلك ، فأخذت تبحث في جدران مسكنها علها تعثر على ثغرة يمكنها أن تخاطب هذا الشاب بواسطتها ، لتذهب عن نفسها ذلك الملل الذي كانت تحس به من جراء حبسها في المنزل آناء الليل وأطراف النهار . وهداها البحث أخيراً إلى العثور على ثغرة صغيرة في إحدى الغرف الخلفية لمسكنها ، فسرت لهذا الكشف السعيد سروراً عظيما وخاطبت نفسها بقولها (إذا كانت هذه الثغرة تؤدي إلى غرفة فلبو — وهو اسم الشاب — فإن خطتي لا بد أن تصل إلى النجاح المنشود ، والفوز المرتقب !) ولم تلبث أن دعت إليها خادمتها وكلفتها بأن تتحقق من هذا الأمر بنفسها . فعادت اليها الخادمة التي كانت ترثي لحالها ، وتتألم لسوء معاملة زوجها لها ، وأخبرتها أن فلبو يبيت في هذه الغرفة التي عثرت على الثغرة المؤدية اليها بطريق المصادفة . فسرت السيدة لهذه البشرى الطيبة وأتت بباقة صغيرة من الزهور اليانعة ذات العطر الشذي ، والأرج الزكي ، وألقتها من الثغرة التي كانت لا تتسع لأكثر من إدخال رأسها ، في مكان ظاهر من غرفة فلبو وظلت واقفة في مكانها ترقب أوبته بفروغ صبر . فلما حضر الشاب ووجد باقة الزهور في حجرته دهش لذلك دهشة عظيمة ، سيما وأنه لم يكن متزوجا وكان يقطن في هذا المسكن بمفرده ، وزادت دهشته حينما أطلت السيدة برأسها من الثغرة الضيقة وناداته باسمه ثم عرفته بنفسها ! ووقف الشاب مبهوتاً زائغ البصر لحظة ولكنه لم يلبث بعد أن هدأ روعه ، واسترد هدوءه ، أن رحب بهذه الصداقة الجديدة التي كان ينتظرها منذ زمن طويل من غير طائل ، ومن هذا الوقت بدأت السيدة والشاب يقطعان الوقت في المسامرة والحديث فكان ذلك سبباً في سرورهما وغبطتهما معاً .

ولما اقترب عيد الميلاد كانت السيدة قد دبرت خطتها للانتقام من زوجها فقالت له ذات يوم وهي تحاول جهدها أن يكون كلامها طبيعياً على قدر الإمكان :

— إنني أود الذهاب إلى الكنيسة لأعترف للقسيس بخطاياي !

فذعر الزوج لهذا الطلب الغريب الذي لم يكن يتوقع سماعه منها وقال :

— وأي خطيئة ارتكبتها حتى تودين الاعتراف بها للقسيس ؟

فابتسمت زوجته ابتسامة ماكرة وقالت :

— أو لست ياعزيزي بشراً كسائر البشر ؟ أم تحسبني قديسة من القديسات أو راهبة من الراهبات ؟

ثم سكتت سكتة قصيرة واستطردت قائلة :

— وهل تعتقد أنني معصومة من الزلل ، أو بعيدة عن الوقوع

فى الخطأ ما دمت تشدد الرقابة على وتحبسنى بين جدران منزلك ؟

وهنا أطرقت برأسها إلى الأرض وقالت له بلهجة حزينة ، ونغمة مؤثرة :

— آه لو كنت قسيساً لاعترفت لك بكل شىء ، ولكنك مع الأسف لست إلا فردا عادياً كسائر الأفراد ، وبشراً سوياً كبقية البشر !

فذهل الزوج لجرأة زوجته وكاد يصعق فى مكانه لأنه كان يعتقد أنها آخر من تفكر فى ارتكاب الخطيئة أو الوقوع فى الإثم، ولكنه تظاهر أمامها بالهدوء والسكينة بالرغم من أنه كان يغلى فى قرارة نفسه كالمرجل .

ثم صمم أخيراً على أن يعرف خطاياها بنفسه مهما كلفه ذلك من جهد ، أو كبده من مشقة وعناء ...

فلما حل عيد الميلاد صرح لها بالخروج فى ذلك اليوم ولكنه حظر عليها الذهاب إلى كنيسة غير كنيستها ،وأمرها بألا تعترف بخطاياها لقسيس غير قسيسها ، ثم نبه عليها بأن تعود بعد ذلك إلى المنزل مباشرة . ففهمت السيدة غرضه وأجابته إلى رغبته بهزة خفيفة من رأسها !

وكان زوجها قد سبقها فى الذهاب إلى الكنيسة قبل ذلك ببضعة أيام واتفق مع القسيس على أن يرتدى ملابسه ويحل محله فى مقابل أجر كبير أعطاه إليه ليتسنى له معرفة خطايا زوجته بنفسه ، فلما حضرت وسألت عن القسيس ذهبوا بها إلى زوجها الذى كان قد سبقها فى الوصول إلى الكنيسة ببضع دقائق ! فعرفته زوجته لأول وهلة بالرغم من أنه كان قد أخفى وجهه بحيث لم يكن يتبين منه سوى عينيه ، ولكنه لم يستطع أن يغير لهجته ، ولا أن يبدل صوته بالرغم من أنه كان يحاول ذلك جهد طاقته ! وهذا ما أكد للسيدة أن الواقف أمامها ليس إلا زوجها دون سواه !

فابتسمت المرأة ابتسامة سريرة متكلفة وخاطبت نفسها بقولها: (حمداً لله وشكراً ! لقد أصبح هذا الزوج الغيور قسيساً ،ولكنى لن أبوح له بما يود معرفته ، ويتوق اللحظة إلى سماعه !) ثم تظاهرت بأنها لم تعرفه وارتمت تحت قدميه وقبلت يديه بذلة وخشوع وقالت :

— بالرغم من أننى متزوجة من رجل غنى كما تعلم ، إلا أننى أحب يا أبتى قسيساً يأتى إلى منزلى ويبيت فى مخدعى كل ليلة !

فدهش الزوج لهذا الاعتراف الفاضح ولكنه أخفى دهشته بكل مشقة وصعوبة لأنه أراد الوثوق من هذا الأمر ، والتأكد من معرفته ، فقال لزوجته وقد بهت لونه ، واكفهرت سحنته:

— وكيف ذلك يا ابنتى ؟ ألا يقضى زوجك الليل فى مخدعك؟

فقالت زوجته وهى تخفى براحة يدها ابتسامة خفيفة ارتسمت على شفتيها :

— بلى ياسيدى ...

فقال الزوج وقد زادت دهشته عن ذى قبل :

— وكيف يبيت إذن هذا القسيس فى مخدعك فى الوقت الذى يكون فيه زوجك موجوداً معك ؟

فتظاهرت الزوجة بالغرابة لهذا السؤال وقالت :

— لست أدرى ذلك تماماً ياسيدى ، ولكنى أعتقد أنه ليس هناك باب إلا ويفتح بمجرد ملامسة هذا القسيس له .وقد أخبرنى أنه يتلو عند مجيئه إلى منزلى تعويذة غريبة فتلقى بزوجى المسكين من فراشه على الأرض وتجعله يروح فى سبات عميق دون أن يدرى بمجيئه ، أو يحس بزيارته لى !

فارتبك الزوج فى موقفه ارتباكا شديداً وقال لها وهو يحاول أن يكظم غيظه ، ويكبح جماح غضبه :

— إننى أرثى حقاً لحالتك ياسيدتى ، ولكن ليس لك عندى مع الأسف أى حل . وكل ما أستطيع أن أفعله أننى سأصلى كل ليلة من أجلك ، وسأرسل إليك — فضلا عن ذلك — رسولا من قبلى بين الفينة والفينة لأرى نتيجة صلاتى لك ، عسى أن يغفر الله لك ويبعد عنك هذا القسيس إلى الأبد ...

فتظاهرت السيدة بالخوف الشديد وقالت :

— لا ترسل ربك أحداً إلى منزلى لأن زوجى شديد الغيرة على

ولكن القسيس — أو الزوج — طمأنها بقوله :

— لا تهتمى بذلك مطلقاً لأننى سأتخذ الحيطة اللازمة لذلك

فقالت السيدة وهى تهم بالوقوف :

— إذا استطعت أن تفعل ياسيدى ؛ فإننى لن أنسى لك هذ

الصنيع ما حييت ، وسأكون مدينة لك بشكرى مدى العمر بالرغم من أننى أحب هذا القسيس حباً جماً ولا أطيق فراقه عنى بأى حال!

قالت ذلك ثم غادرت الكنيسة على عجل وهى تضحك فى سرها من سذاجة زوجها الذى كان يتميز من الغيظ ، ويقرض على أسنانه من شدة الغضب ! وألقى الزوج بعد أن تركته زوجته بقلنسوة القسيس وبردائه على الأرض ثم هرع من فوره إلى منزله . فلما وصل إليه خاطب زوجته بعد أن فكر ملياً فى هذا الأمر ، ودبر خطته للانتقام منها ومن القسيس الذى يأتى لزيارتها كل ليلة فقال:

— سأتناول الليلة عشائى خارج المنزل لدى أحد أصدقائى ، وإذا تأخرت قليلا فلا تقلقى لغيابى لأننى سأقضى سهرتى عنده .

وقبل أن يغادر المنزل حدجها بنظرة حادة صارمة ثم قال لها بغلظة وجفاء :

— لا تنسى أن تغلقى ورائى باب المنزل بالمزلاج ، وكذا باب مسكنك ، بل وباب غرفة نومك كذلك إذا شئت أن تأوى إلى فراشك مبكرة ...

ففهمت السيدة غرضه وابتسمت له على كره منها ثم تمنت له ليلة طيبة دون أن تسأله عن المكان الذى سيقضى فيه سهرته ...

ولما غادر المنزل هرعت إلى الشرفة وأخبرت فلبو الذى كان فى انتظارها بكل ما حدث لها مع زوجها فى صباح ذلك اليوم ، ثم قالت له وهى تضحك ملء شدقيها :

— إننى واثقة من أن زوجى لن يتحول هذه الليلة من أمام المنزل ليتسنى له القبض على هذا القسيس المزعوم فهل يمكنك أن تأتى إلى فى المساء عن طريق سطح منزلك لنتبادل الأحاديث الحلوة والأقاصيص الشهية ؟

فأجابها فلبو وهو يكاد يطير من شدة الفرح لهذا اللقاء القريب الذى كان لا يشتهى فى الدنيا غيره :

— سأحاول ذلك يا عزيزتى .

فلما أقبل المساء تسلح الزوج بهراوة ثقيلة واختبأ خلف بوابة قريبة من المنزل . ثم وقف ينتظر على مضض مجىء ذلك القسيس الذى اعترفت له زوجته بأنها تحبه ! وقد حدث ذلك فى نفس الوقت الذى ذهب فيه فلبو إلى مسكن معشوقته عن طريق سطح منزله ! وظل الإثنان فى لهو ومرح إلى ساعة متأخرة من الليل ، ثم عاد الشاب ثانية إلى مسكنه !

فلما بزغ النهار عاد الزوج إلى بيته بعد أن فرغ صبره ، وجمدت أطرافه من شدة البرد ! ثم ذهب إلى غرفة نومه وهو خائر القوى ، منهوك الأعصاب ، واستلقى على فراشه وراح فى سبات عميق ! فلما استيقظ من نومه غادر المنزل ثم أوفد إلى زوجته رسولا من قبله على زعم أنه موفد من القسيس الذى اعترفت له بخطاياها بالأمس ، عما إذا كان القسيس قد جاء لزيارتها فى الليلة الماضية أم لا ؟ فأجابته السيدة بقولها :

— لا ! إنه لم يأت فى الليلة الماضية ، وإذا انقطع عن زيارتى عدة ليال أخرى فإننى لن ألبث أن أنساه بمضى الزمن وإن كنت سأتألم بعض الشىء لغيابه عنى ، وانقطاعه عن زيارتى !!

وكرر الزوج مراقبته للقسيس الموهوم عدة ليال فى الوقت الذى تلهو فيه زوجته مع جارها فلبو كل ليلة دون أن يدرى أحد من أمرهما شيئاً ! فلما عيل صبره ، ولم يجد أدنى فائدة من تلك المراقبة ، سأل زوجته ذات يوم وشرر الغضب يتطاير من عينيه ، والحنق الكامن فى أعماق نفسه يلوح على أسارير وجهه المتجهم فقال :

— ما الذى اعترفت به للقسيس فى صبيحة يوم عيد الميلاد ؟

فذعرت زوجته لهذا السؤال المفاجىء ، ولاذت بالصمت المطبق ، والسكوت العميق ، فلما كرر عليها زوجها هذا السؤال استولى عليها الغضب ثم التفتت نحوه وقالت :

— أظن أنه ليس من حقك ، ولا من حق أى إنسان آخر أن أطلعك على أسرارى ، أو أكاشفك بخبيئة نفسى !

فازداد غضب الزوج لهذا الرد وقال :

— أيتها المرأة المنافقة ، والمخادعة الشريرة ، إننى على علم بكل ما اعترفت به فى الكنيسة ، وسأجبرك الآن على إخبارى بكل شىء عن ذلك القسيس الذى يبيت فى مخدعك كل ليلة ...

فلم تكترث زوجته لتهديده وقالت :

— إننى لا أستقبل فى مخدعى أحداً سواك ...

ولكن الزوج الغاضب لم يقتنع بإجابتها وانفجر فيها قائلا :

— ماذا تقولين ؟ أتنكرين هذا أيتها الحية الرقطاء ؟ أو لم تخبرى القسيس الذى اعترفت أمامه بذلك ؟

فنظرت إليه زوجته نظرة شزراء ثم قالت له بجرأة وثبات :

— إنني لا أنكر شيئا مما قلته له ، ومادمت قد سمعت اعترافي كاملا فلا حاجة بي إلى تكراره أمامك مرة أخرى !

فقال لها زوجها وهو يعجب من شجاعتها ورباطة جأشها :

— والآن ما دمت قد اعترفت بخطيئتك ، وكاشفتني بإثمك فيجب أن تخبريني بكل شيء عن هـذا القسيس العاشق ، وإلا فالويل لكما مني معاً ... ...

فهزت زوجته كتفيها بسخرية واستخفاف ولم تأبه لوعيده أو تكترث لغضبه ، ثم أرادت أن تلقي عليه في تلك اللحظة درسا قاسياً لا ينساه مدى الحياة ، فقالت له بصوت هادىء ، وعبارة متزنة هادئة :

— إنني في أشد العجب من تلك الغيرة العمياء التي تظهرها نحوي في كل وقت ، وبدون سبب . أتظنني غبية قصيرة النظر مثلك ؟ لا ! فلقد عرفت لأول وهلة أن القسيس الذي اعترفت أمامه بخطاياي هو أنت دون غيرك ! ولكني أردت أن أثير انتباهك بهذه الحكاية الملفقة ، وأظنني قد نجحت في ذلك إلى حد بعيد ! ولو كنت عاقلا حقاً لما حاولت الإطلاع على أسرار زوجتك بهذا الشكل المزري القبيح ! ولكن الغيرة — قاتلها الله — أعمت بصيرتك ، وذهبت بلبك وجعلتك عاجزاً عن تبيان الحقيقة الواضحة أمامك وضوح الشمس في رابعة النهار ! ولقد اعتقدت خطأ أن كل كلمة من كلماتي إنما هي حقيقة ثابتة لا شك فيها ، وغاب عنك أنها محض اختلاق ، ولم تكن إلا مجرد درس لك ولأمثالك من الأزواج الذين تعمى الغيرة الحمقاء عيونهم عن معرفة أبسط قواعد اللياقة والذوق ! ولقد قلت في اعترافي إنني أحب قسيساً ، أفلم تكن أنت ذلك القسيس الذي كنت أحبه في تلك اللحظة التي اعترفت فيها أمامك ؟ وقد قلت أيضاً إنه لا يعصى عليه أي باب عند ما يأتي إلى منزلي وهل هنا لك باب في منزلك يستعصي عليك دخوله ؟ ولقد قلت أخيراً إن هذا القسيس يبيت في مخدعي كل ليلة ، أو لا تفعل ذلك حقاً يازوجي العزيز ؟ وكلما أوفدت إلى رسولا من قبلك ليسألني عما إذا كان القسيس لا يزال يكرر زيارته لي كنت أجيبه بالنفي ، وهذه حقيقة لا شك فيها لأنك اعتدت أن تسهر إلى ساعة متأخرة من الليل خارج منزلك منذ اليوم الذي اعترفت فيه أمامك في الكنيسة ، حتى ظننت بدوري أنك تقضي سهراتك عند امرأة سواي وتلهو معها ماشاء لك اللهو والمجون! وقد كان يجب عليك أن تفهم كل هذه الحقائق بنفسك دون أن تكلفني عناء شرحها وتوضيحها لك !

وهنا تظاهرت أمامه بالبكاء فاغرورقت عيناها بالدموع وقالت له بلهجة مؤثرة ، وصوت مختنق النبرات :

— فكر في هذا الأمر المشين بك ياعزيزي ، واطرح عنك هذه الغيرة والعمياء التي نغصت علينا صفونا وراحتنا . وإذا كنت تعتقد أنك بحبسك لي بين جدران منزلك تمنعني من اللهو والعبث مع غيرك ، وتحول بيني وبين تحقيق رغباتي ، فأنت جد مخطىء في ذلك يازوجي العزيز ، لأن المرأة كما تعلم لا يقف أمامها أي حائل ، ولا يمكن لأي مخلوق مهما كان ، أن يعترض سبيلها إذا هي أرادت ذلك بمحض مشيئتها ورغبتها ...

فلما سمع الزوج ذلك تأثر لكلامها ، وأحس بالحسرة والندم على ما فعل ، ثم أبعد عنه هذه الغيرة التي سببت له كل هـذا التعب والعناء ! وفي الوقت الذي كان يجب عليه فيه أن يثار عليها ، ويشدد في مراقبته لها ، تراه قد أهمل هذا الأمر إهمالا تاماً وترك حبل الأمور على غاربها ! وزيادة على ذلك فقد صرح لها بالخروج في أي يوم تشاء ، وفي أية ساعة ترغب ، ولم يعد يهتم كثيراً بغيابها عن المنزل أو عدم غيابها ! فلما نالت الزوجة حريتها ، واطمأنت إلى عدم شك زوجها في وفائها ، تمادت في غيها ، وأوغلت في ضلالتها ، وأصبح حبيبها قلبو يقابلها مرة أو مرتين في اليوم . فاذا تصادف وحضر زوجها في أثناء وجوده فسرعان ما يفر إلى مسكنه عن طريق سطح منزله دون أن يدري به أحد ، أو يعلم بأمره إنسان !

وهكذا ظل العاشقان يرتشفان معاً كؤوس الهوى حتى الثمالة بعد أن أفلحت الزوجة في خطتها ، ونجحت في الانتقام من زوجها!

اسكندرية

محمد عبد اللطيف حسن

بادر باقتناء نسختك من كتاب :

دفاع عن البلاغة

للأستاذ

أحمد حسن الزيات

وقد زيدت عليه فصول لم تنشر

يطلب من إدارة « الرسالة » ومن المكاتب الشهيرة وثمنه ١٥ قرشاً

سكك حديد الحكومة المصرية

جداول مواعيد القطارات لفصل الصيف سنة ١٩٤٦

لقد شرعت المصلحة فى الاستعداد لإصدار طبعة الصيف المقبلة من جداول مواعيد القطارات المتداولة بين آلاف الجماهير وذلا إعتبارا من أول مايو سنه ١٩٤٦ .

وفضلا عن أهمية الإعلان فى الجداول المذكورة فإن المصلحة تتقاضى مقابل النشر فيها أجراً زهيداً فالصفحة الكاملة بس جنيهات ونصف الصفحة بأربعة جنيهات .

فاغتنموا الفرصة وسارعوا من الآن إلى حجز ما يروقكم من صفحات هذه الجداول نظراً إلى أن الإقبال على الإعلان فيها شديد وزيادة الاستعلام اتصلوا . —

بقسم النشر والإعلانات — بالإدارة العامة — بمحطة مصر .

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)